

الثلاثاء 20-05-2008

## 263- عن العلم والعقل والتاريخ والمعرفة

وصلتني رسالة من صديق من أصدقاء "الميل" يختلف معي اختلافًا هائلًا في هذه المنطقة بالذات (ظاهر موقفي من العلم والعقل). هو يرسل لي أغلب ما يصله على النت مما يؤكد وجهة نظره، أو يعدل وجهة نظري، لكن يبدو أن حوارًا آخر كان يدور أيضًا بما يسمح له أن يرشدني إلى ما يؤيد ما يخالفني فيه، ذلك أن هذه الرسالة التي وصلتني منه مؤخرًا كانت مقتطفات من موقع مجهول لي وله، مقتطفات تحوي 17 موقفًا معرفيًا، ورؤية ثاقبة، عثر عليها مصادفة أثناء بحثه عن أمر آخر، الموقع هو "موقع محمد أسليم"، أنا لم أسمع عنه، وغالبًا (صاحب الموقع) لم يسمع عن موقعي أيضًا، لكن الملاحظات، أو الإشراقات، التي وصلتني كرما وإضافة من هذا الصديق، فاجأتني حتى اضطررتني إلى العودة إلى ما سبق نشره هنا في نشرة 1-10-2007 مستويات الوعي وأساطير المتصوفة، وفي نشرة 2-1-2008 أنواع العقول.

هل ياترى أكتفى بأن أوصى أن يرجع إليهما القارئ/الزائر معًا بعد أن مضت كل تلك الشهور؟

هل اقتطف منهما المناسب لقراءة هذا المقتطف الذي وصلني، مع الاعتذار عن التكرار؟

قبل أن أجيب على هذه الأسئلة قلت أدخل إلى هذا الموقع الذي وصلتني عنه المقتطفات الـ 17، لأتعرف على صاحبه، وإذا به لعربي في منتصف العمر، مغربي مبدع، قاص، ناقد، مترجم، ممتلئ بالحيوية والحركة والاتصال بالحركة الفكرية الأحدث في أوروبا (ربما إسبانيا بالذات)

قلت لا، وخبّ التآجيل، المسألة تحتاج إلى هدوء وتعريف أشمل، قبل أن أناقش ما وصلني عنه تفصيلًا، لكنني فضلت أن أبدأ نشرة اليوم بهذه العينات من كلامه كما يلي:

□ مآزق العقل:

"..... ما كان بوسع الأركيولوجيا وكتب التاريخ أن تكون لو فعل الإنسان شيئًا واحدًا: أن يكون في مستوى الطريق التي نهجها والسمة التي امتاز بها عن باقي الحيوانات، ألا وهي

العقل. إن تاريخ النوع مودعُ بداخلنا، لكننا لم نجد حتى اليوم قراءته، بل لم نقم بهذه القراءة....

"..... الخلاصة أن الإنسان يعرّف نفسه بأنه كائن عاقل، والحال أنه لازال واقفاً في عتبة اللاعقل. يغادر بالكاد منطقة اللاعقل ليدخل إلى طور العقل.

#### □ معنى الاتصاف بالعقل

"..... ليؤصف الإنسان لنفسه بـ «العاقل» معنى مزدوج: الأول افتتان من الإنسان، الذي لازال غارقاً في قرارة اللاعقل، بقسط زهيد من استخدام العقل، فظن أن هذا هو العقل، وقال: «إنما أنا كائن عاقل». الثاني أن الإنسان سدّ باب العقل وهو لم يلج دار العقل بعد.....

(انتهت "العينة" من رؤى وآراء "محمد أسليم")

#### وبعد

خلاصة ما وصلني، ليس فقط من هذه الشذرات، ولكن من مجمل المقطعات: أن العقل لا يكون عقلاً بشرياً جيداً بهذا الاسم إلا إذا احتوى كل عقوله ولم يستبعد ماضى إنجازاته الناجحة التي أوصلته إلى بشريته، فما شاع عن العقل الآن .. ليس هو ما يجدر أن نسميه عقلاً ... الخ.

ولنا عودة.

#### تذكرة

قليل من التواضع يصح المسار  
كثير من الخيرة، يشتم التماسك

بقدر مناسب من الدهشة، مع قدر مناسب من النقد، تتكشف المعرفة المفتوحة النهائية.

كلما اقتربت من كلمة "العلم" أو "العقل" وهمت بأن أفتح فمي، أعني أطلق قلمي نقداً، انقضت على الاحتجاجات والاعتراضات قبل أن اكمل جملتي، أحاول التوضيح والتنبيه إلى أنني قلت "كلمة" العلم و"كلمة" العقل، ولم أقل مفهوم العلم ولا منظومة العقل، لكن الانقضاض يتواصل إلى درجة التكفير (الطرد من حظيرة العلم والاتهام بالهرطقة ضد سيدنا العلم أو ربنا العقل)

#### ما العمل؟

أبدأ بالتأكيد على ما يلي:

"العلم" بما وصل إليه حتى الآن، صحيحة ومُتجاوزة، ضعيفه وقويته، هو أعظم إنجازات الإنسان وأجهزها لخدمته،

و"العقل" وهو يتربع على قمة التطور الواعي للكائن البشرى هو تاج تطوره،

هذا كلامي أنا وليس مقتطفاً من "أسليم".

### إذن ماذا؟

○ لكن هذا العلم نفسه، إذا ما اغتر وعُظ واستكبر حتى انفصل عن تاريخ المعرفة وحاضرها أصبح مثل السكن الذي يمك بها صاحبها من حدها، فهو لا يعود علماً بالمعنى التطوري الأرقى.

○ كذلك العقل إذا ما استقل عن الوجدان، والجسد، والوعي الآني والتاريخي، والامتداد من جذور كل خلايا الجسد ومناهج المعرفة قبله، أصبح مثل القلنسوة الفولاذية التي تمتد حتى تغطي البصر والبصيرة، تحت زعم حماية مرتديها من هجمة شطايا الخرافة.

**نقد العلم** إذن لا يعنى الاستهانة به، ولا التهوين من شأنه، ولا تهميش دوره، وإنما يعنى الدعوة إلى ضرورة التحامه بالتاريخ الذى أنشأه، وإلى الحاضر الكلى الذى ينميه.

**نقد العقل** أيضاً لا يعنى فتح الباب للخرافة، ولا للبدائية، وإنما هو تنبيهه إلى أنه لا يوجد عقل واحد يسيّرنا ويهدينا، وأن العقل الشامل، الجدير بمرحلة تطور الإنسان، هو الذى يستوعب كل العقول السابقة وأحياناً يتناوب معها (في الخلم خاصة) ثم إنه يشتمل بها إلى الإبداع.

**إذا لم نفعل ذلك طول الوقت انقلب العلم ديناً سلطوياً مغلقاً مهما أُخِز،**

ثم هو يصبح عرضة للاستغلال والاستعمال، لغير ما هو، وبالذات خدمة الاغتراب والتكاثُر فى الأموال، والأملاك، والهلاك الشامل.

هذا هو ما حدث للإيمان حين استولت عليه السلطات الدينية وخنقته داخل خزانيتها التى أسمتها الدين، وليس الدين الذى أنزله الله.

إن هذا التقديس والتسليم لما يسمى العلم دون نقد أو تحييس قد أصبح سمّة التلقى لمعلوماتٍ توصف بالعلمية، أو بالعقل أحياناً.

يسرى هذا على الشخص العادى، وعلى طالب العلم، وممارس المهنة التى تستند إلى علم مثل "الطب".... الخ.

### تساؤل:

ماذا يصلك حين تقرأ أن "العلم يقول كذا" أو أن "العلم الحديث اكتشف كيت".... الخ. كيف نقرأ أخبار العلم ومعلومات نتائجه بمختلف أشكال نشرها على العامة وعلى الخاصة فى بلدنا هذا فى عصرنا هذا؟

مثال:

حين تقرأ خبراً علمياً جداً يقول:

أثبت العلم الحديث أن "الأرجح" أن العقار الفلاني يقلل "في معظم الحالات" نسبة المادة العلانية في موقع ما من الجهاز الحرفي limbic system ولهذا فإن "الفرض الجديد" لفاعلية هذا العقار في المرض الفلاني هو أن هذا المرض "يمكن إرجاعه" إلى زيادة في هذه المادة التي يقللها هذا العقار... الخ

أقول: حاول أن تتذكر كيف تقرأ مثل هذه المعلومة في صحيفة يومية إذا وردت، أو في مجلة علمية، أو في مرجع معتمد.

جملة اعتراضية:

إن طريقة التلقى للمستلمين منّا تضاعف أزمة العلم المؤسسي، ذلك أنه في بلادنا العزيزة بوجه خاص يسارع أغلبنا، بما في ذلك طالب العلم، بإلغاء الكلمات التالية من هذه الفقرة (دون أي قصد طبعاً)، سوف يلغون كلمات:

"الأرجح"، "في معظم الحالات"،

"الفرض الجديد"، "يمكن إرجاعه"

ثم تضاف الكلمات الوصلية البديلة

هيا نقرا الجملة بعد هذا الحذف الانتقائي

أثبت العلم الحديث أن العقار الفلاني يقلل نسبة المادة العلانية في موقع ما من الجهاز الحرفي limbic system ولهذا فإن فاعلية هذا العقار في المرض الفلاني تثبت أن سبب هذا المرض هو زيادة في هذه المادة التي يقللها هذا العقار... الخ

خبر آخر

دع هذه الجملة الاعتراضية جانبا وتعال نقرا خبرا آخر.

"... تأكد العلماء حديثا أن ثقب الأوزون يتسع وأن درجة حرارة الكرة الأرضية في ازدياد وبالتالي سترتفع مياه البحار ويغرق العالم سنة كذا وسوف يأكل البحر المتوسط دلتا النيل... الخ .

عندى شقة على كورنيش الاسكندرية مباشرة، وكلما قرأت مثل هذا الخبر، نزلت بكل أميبي، وكأني فلاح قدم لأول مرة إلى المدينة، ورحت أقيس عرض الرمل على الشاطئ (أعمل ذلك منذ مايو 1967) ولم تنقص المساحة سنتيمتراً واحداً حتى الآن، منتهى السذاجة والجهل! أليس كذلك؟ لكنني أفرح بجهلي وأحياناً أفخر به، حتى وصلتني من نفس صديقي هذا مؤخراً دراسات تنفي هذه الإشاعة العلمية عن ثقب الأوزون، ولم أصدقها هي الأخرى إلا قليلاً!!

كذلك كان حالى وأنا أتابع أخبار أبحاث رسم خريطة الجينوم البشرى التي أسالت لعاب شركات الدواء ... ولكن...

مارأيك؟

### "العلم الحديث؟" يعني ماذا؟

مرة أخرى: حين تقرأ أية معلومة توصف بأنها من **العلم الحديث**، أو **الحديث جداً**، يقفز إلى ذهنك غالباً أنك عثرت أخيراً على ما هو فصل الخطاب، وأن تصور أن أغلبنا أو كلنا يفصل ما يصله عن جذوره التاريخية - التي لم تكن تسمى علماً عادة - وأيضاً عن حركته القادمة التي لا نعرف عنها إلا إرهابات محدودة.

كذلك حين تسمع كلمة "العقل":

لقد أفضلنا في سطحية استعمال كلمة "عقل" في **يومية "أنواع العقول"**. مما سوف أكرره هنا - على الأقل: تحية لحمد أسليم -

أوردنا في تلك اليومية التنبيه التالي في صورة النفي المبني هكذا:

1- **العقل ليس هو "فقط"** ما يرد في تعريف كلمة "عقل" في المعاجم

2- **العقل ليس هو "فقط"** القطب الآخر الذي يقع على أقصى الطرف النقيض لما يسمى عاطفة: (العقل) < == > (العاطفة)

3- **العقل ليس هو "فقط"** ما يستعمل في ما يصح وما لا يصح (بالمنطق الأرسطي مثلاً)

4- **العقل ليس هو "فقط"** ما نطمئن إليه بعد حل تمرين هندسة بتطبيق نظريات هندسية محكمة، ونحن ننهد قائلين **"وهو المطلوب إثباته"**

5- **العقل ليس هو "فقط"** ما نستعمله جاهزاً ونحن نتحدث عن نتائج تجربة علمية ثبتت صحتها المرة المرة

6- **العقل ليس هو "فقط"** ما يقابل ما يقوم به حاسوب مهما بلغت دقته

### الماضي الحاضر المستقبل:

إذا انفصل العقل الحديث عن تاريخه وحل محل كل العقول السابقة، أصبح قشرة لامعة قابلة للجفاف فالتشقق، فالتشظى.

كذلك إذا انفصل العلم الأحدث والحديث عن تاريخ المعرفة، ليس فقط الإنسانية، وإنما المعرفة الحيوية، أصبح برنامجاً لامعاً مغترباً، كلما ازداد نموه لذاته في ذاته، ازداد اغتراب الإنسان عن بقيته وتاريخه.

ماذا أفعل لتوصيل هذا كله إلى المتلقي، خاصة هذا الذي يعمل في حرفتنا "فن اللأم" (المشهور باسم الطب)، هذا الفن الذي يتعامل مع الإنسان الحي أساساً بكل تاريخه الحيوي والشخصي في خلاياه ومستويات وعيه في حالة الصحة والمرض؟

وبصفة عامة، ماذا يفعل الإنسان البسيط الطيب الذي يريد أن يواصل حوارهِ مع الطبيعة فالكون نابعاً من جذوره ممتداً في تاريخهِ إلى ما بعده ؟

إذا أردنا أن نكرم إنسانيتنا، وأن نحترم عقولنا الحقيقية التي لم تكتمل بعد (حسب رؤية أسليم أيضاً) بعد كل هذا التاريخ التطوري الرائع، علينا ألا نستقبل أية معلومة إلا في سياقها الممتد عبر التاريخ إلى ما يعد به،

وإليك هذه التجربة الأخيرة :

أدعو القارئ مرة أخرى ليست أخيرة أن يختبر بنفسه من جديد وهو يقرأ منبهرأ أية معلومة متعلقة بالمسألة (أية مسألة)، يقرأها كما اعتاد، وهي منفصلة في ذاتها.

ثم أدعوه أن يعيد قراءتها ووراءها خلفيتها التاريخية التي سأوردها في الجدول التالي:

**الخلفية: أرقام من التاريخ (بالتقريب طبعا)**

- 1- عمر الكون حوالى 9- 20 بليون سنة
- 2- عمر الأرض حوالى 4-6 بليون سنة
- 3- عمر الحياة على الأرض حوالى 1-2 بليون سنة
- 4- عمر الإنسان حوالى 600 ألف سنة
- 5- جذور السلوك التدينى أمكن إرجاعها فرضا إلى 300000 سنة
- 6- نشأة اللغة 100000
- 7- الأديان السماوية + 4000 سنة
- 8- العلوم الحديثة 200 سنة
- 9- العلم الأحدث خمسون سنة

اقرأ هذه الأرقام مرة أخرى يهدوء من فضلك ثم تسأل معنا :

○ هل يجوز أن يعتمد الانسان في قراءة معلومة من العلم الحديث -عمرها 80سنة مثلا- لاغيا كل ما قبل ذلك؟

○ هل يمكن إعادة النظر في هذه المعلومة بعد أن يتمعن النظر في هذه الأرقام؟

○ هل يجوز أن تصور أن الأديان السماوية نشأت بلا جذور لها في الفطرة البشرية، وحين أكرمنا خالقنا سبحانه وتعالى بإنزالها على بعض عباده من رسله عليهم السلام، أنزلها مرة

تلو الأخرى بمعالمها النقية مؤخراً من حوالى "4000 سنة فقط" لتؤكد لنا تاريخنا وطبيعتنا وطريقنا إليه قبل أن نشوهها بالترميز، ونحنقها بالتفسير، هل يجوز أن نفرض ما فهمناه بقصورنا عبر هذه الأربعة آلاف سنة -استبعاداً- على كل ما قبلها وما بعدها؟

○ هل يجوز أن يكون العقل العلمى المنطقى الحسابى الحاسوبى هو السبيل الأوحدا لاستيعاب كل ما حدث على طول هذا المسار؟  
○ ..... الخ.

الخلاصة:

أكتفى بهذا القدر وأختم نشرة اليوم بملخص عرضتها فى شريحتين من محاضرة ألقيتها فى المجلس الأعلى للثقافة عن العلم المعرفى والثقافة العلمية، المحاضرة كاملة فى شكل شرائح PP موجوده بالموقع .

الشريحة الأولى :

#### التفكير العلمى والمعرفة

- المعرفة بدأت من التمييز قبل ظهور الجهاز العصى والدماغ
- الأميبياتميز بين ما هو صالح للغذاء مما هو غير ذلك
- تاريخ الإنسان ليس تاريخ التفكير، هو تاريخ التلاؤم مع البيئة
- المعرفة ليست قاصرة على عمل المخ (الدماغ) ، كذلك التفكير.
- المعرفة تُوسّع الوعى وتعمّقه .
- المعرفة الموضوعية تغذى التفكير العلمى، وبالعكس.
- التفكير العلمى يضيف إلى المعرفة ولا يكتريها.

الشريحة الثانية:

#### مخاطر ومخاطر

- لا يعنى فتح باب المعرفة لروافد أخرى، أننا نريد لهذه المصادر التكاملية أن تحمل محل المعرفة العلمية أو أنها تفوقها .
- لا ينبغى الخلط بين لغات ومناهج كل منظومة مع الأخرى مجرد أنهما مصدران للمعرفة (خاصة الخلط بين منظومة الدين ومنظومة العلم)
- إن مبدأ: النقد، والنهية المفتوحة، هما العامل المشترك فى كل الروافد دون استثناء .
- إن تجربة التطبيق العملى لنفع الناس وتطورهم هو مقياس المصادقية لكل الروافد

مع العلم أن مقياس "نفع الناس" و"تطورهم" حولها خلاف فطيع.!!  
هيا نستمر